Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سواء كنا على وعى بهذا أو على غير وعى .

تقول تلك الحكاية القديمة . التى أحسبها كانت فى كتاب المطالعة للسنة الأولى من التعليم الأولى (النظام القديم) :

« خطف الغراب قطعة من الجبن ، وطار بها إلى أعلى شجرة ، فرآه الثعلب ، وطمع فى الحصول عليها ، فقال للغراب : أيها الغراب ، إن صوتك جميل ، وأحب أن أسمعه ، ففرح الغراب ، وفتح فمه كى يغنى ، فسقطت قطعة الجبن ، فالتقطها الثعلب . وأكلها ، وانصرف » .

هذه هى القصة ، بألفاظها تقريباً ، وبمغزاها تماماً ، وإذا لم تكن ألفاظها أو فقراتها موضع خلاف ، إذ تبدو مناسبة للمرحلة التى صنعت من أجلها ، فإن الخلاف سيكون حول المغزى ، أو « القيمة » المستخلصة من القصة . وأول ما نلاحظ أن طرفى الصراع فى القصة طائر وحيوان ، والطفل فى الشريحة السنية التى تخاطبها هذه القصة يميل إلى قصص الحيوان ، ولكن هذا الميل سيصطدم بأن الصراع يقوم بين طرفين لا يحبهما الطفل [1] ، فالتراث الشعبى السائد محمل برموز النفوذ من الغراب ، والتشاؤم من صوته ولونه واقترابه (ليس هذا قاصراً على المأثورات الشعبية وحدها ، وإنما له أشباه فى التراث الشعرى العربى ، وقد سمى غراب البين ، والبين هو الفراق) كما أن الثعلب. وإن لم يكن مصدر تشاؤم . موسوم بالخديعة والغدر، واقتراف الأساليب المستهجنة لبلوغ غايته (كإخراج الروائح الكريهة ليظن أنه ميت) . وهذا يعنى أن المتلقى [الطفل] لا يستطيع أن ينحاز لأحد طرفى الصراع ، فضلا عن أنه لا يحب أن يكون فى مكان واحد منهما ، غير أن عملية من المفاضلة بين الطرفين لابد أن تجرى فى ذهن الطفل ، لأن طبيعة المراقبة لأمر يتجاذبه طرفان أن يميل المراقب إلى أحدهما لأسباب ذاتية وموضوعية ، وهذا ما نلاحظه حين نشاهد مباراة لكرة القدم مثلا ، أو تمثيلية ، أو ندوة تتعارض فيها الآراء [2] . ومن المؤكد أن الطفل حين يفاضل بين المغرور المغفل الذى فقد ما معه (الغراب) والماكر المخادع الذى حصل على ما يشتهى (الثعلب) فإنه لابد سينحاز إلى جانب الثعلب ، إذ لن يكون فى إمكانه أن يتحرر من الموقعين ، أو يرفضهما ، ويتخذ لنفسه حكماً مستقلا فى تلك السن المبكرة . وهكذا يستقر الإعجاب بالحيلة الذكية [فى الظاهر] والكذب المحقق للهدف [فى الحقيقة] ولاشك أن المؤلف الذى صنعها كان حسن النية ، وكذلك كان المعلم الذى عرضها بكثير من الحماسة على تلاميذه ، ولم يفطن أحدهما إلى

(١) ينشأ الصراع عادة من تعارض الإرادات أو المصالح حول شىء واحد وهذا يستدعى أن يكون الخير فى مواجهة الشر ، ولكن حين ينشأ الصراع بين شريرين فإننا سنفقد قدراً من حماستنا فى تتبعه ، ولكى يحصل الطفل عليق قيمة أخلاقية مستقرة ، فقد يستوجب هذا أن يغنى أو يخيب الشريران كلاهما ، هذا مالم يتوافر فى القصة السابقة . وقد وقع أمير الشعراء فى هذا الخطأ فى إحدى قصصه الشعرية ، كما سنرى .

(٢) فى هذا الانحياز النفسى الداخلى تتنفس الميول وأخلاق المستقبل ، فهناك من يفضل الوقوف إلى جانب الأضعف ، ومن يفضل الأقوى ، ومن يقف مع الأكثر إجادة ، ومن يلتزم بشخص أو فريق معين ، فهو معه ـ عصبية ـ مهما كان أداؤه !! وهكذا .